منهج الحاخام سعديا جاؤون في تفسيره لسفر التكوين وتأثره بمناهج تفسير القرآن الكريم

ط.د وهيبة بوكرسي
مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة

عرَف النص الديني اليهودي تَناقُلِية منهجية في تفسيره كباقي النصوص الدينية ـ يهودية، مسيحية و إسلامية ـ ساهَمَت في نقل هذا النص الديني إلى أي قارئ لفهمه و العمل به، على ضوء منهج فعَّال يبدأ عملية البحث و التعمُّق فيها، و لأنَّ النص الديني اليهودي استقى مفسِروه العديد من المناهج من مصادر مختلفة تمَّ التأثُّر منها و التأثير فيها، فهو كالعديد من النصوص تشرَّب و تلقى كثيرا من التفسيرات لتعاليمه و عقائده ، و مُحاولة فهم رمزيته و استيعابها أكثر، فقد حاول العديد من المفسرين هذا و منهم : **الحاخام سعديا جاؤون** خاصة في تفسيره **لسفر التكوين** من العهد القديم،حيث عاصر ازدهار الحركة العلمية و الثقافية للمسلمين و تأثّر بها في أعماله،و اطَّلع على ما خلَّفه علماء المسلمون و قد عايش في الوقت ذاته الوقت الذي كانت تعاني فيه من أزمة نتيجة انتشار الاسلام و دخول الكثير من اليهود إليه،و حاول متأثرا بعلماء الكلام المسلمين أن يُثبتَ أنَّ الدين اليهودي يتفق كل الاتفاق مع العقل و التاريخ من خلال الكثير من الأعمال التي ألَّفها من تفاسير فمن خلال جهوده التفسيرية و معايشته للمسلمين و معارفهم إلى أي مدى يكمن تأثُره

بمناهج المسلمين التفسيرية خاصة التأويلية منها (المعتزلة) ؟وهل تشربّها إسقاطا كُليا على عمله التفسيري أم أنَّه حاول هذا معايشة فقط لتلك البيئة تأثُرا و تأثيرا؟

و لهذا فإنَّ تعايش اليهود مع المسلمين و اطلاعهم على فكرهم و ثقافتهم و **مناهجهم** في الشرح **و التفسير** و دراسة لغة القرآن و أساليبه، و بلاغته و إعجازه، كل هذا جعل هؤلاء اليهود يحسون بضرورة اقتفاء أثر المسلمين و تطبيق هذه المناهج المُختلفة على نص العهد القديم.

لذا فقد اعتمدتُ في هذه الدراسة المنهج المقارن في مقارنتي بين العناصر التي اعْتَمَدَتْها المناهج التفسيرية الاسلامية ـ المعتزلة منها و ما تأثر به الحاخام **سعديا** في هذا من خلال دراستي لكتاب : أثر مناهج تفسير القرآن الكريم في تفسير الحاخام سعديا جاؤون لسفر التكوين: لعزة محمد سالم.

ـ كما حاولتُ اسقاط بعض الأمثلة التي تأثر بها **سعديا** باللغة العبرية لما تحتاجه الدراسة.

ـ حرصتُ أيضا على نقل الشواهد المنقولة في تفسير **سعديا** إلى الحرف العربي دون أي زيادة.

ـ عرجت إلى أهم النقاط التي تأثر بها سعديا من خلال المنهج بمناهج المعتزلة دون التركيز على الإسهاب في ذكر مناهج المعتزلة حيث ركزت فقط على نقاط التشابه مع بعض الأمثلة، مع دراستي لأهم المناهج التي اعتمدها الدارسون للنص اليهودي قبل عصر **سعديا** لإبراز الاختلاف و التأثر و النقاط الأساسية التي اعتمدها **سعديا** في تفسيره للعهد القديم ـ سفر التكوين منه ـ الرمزي ، التأويلي. و هل اعتمد سعديا على كل هذه المناهج في تفسيره كحلقة وصل بين الفترة التي سبقته و فترته.كما ركزتُ في هذا على مدى توافق هذه المناهج إذا أُعتمِدت على نصوص مختلفة ـ اليهودية منها و الاسلامية ـ و هل يلزم المفسر لهذه النصوص المختلفة اعتماد مناهج خاصة به، أي باختصار هل يعتبر المنهج خاصا بنص بعينه أم لكل نص مقدس منهج تفسيره الخاص به على اعتبار الكثير من الاختلافات اللغوية منها و النحوية و ترجماته المختلفة و على اعتبار أيضا أنَّ النَّص الديني اليهودي التوراتي قد مرَّ بكثير من الترجمات التي أثرت في تفسيره.

و كذلك في مقارنتي بمناهج التفسير التي اعتمدها **سعديا** و مناهج المعتزلة التفسيرية لم أُفرِد الدراستين بل درستُ النقاط التي يكمن فيها التأثير و تليها مباشرة التأثيرات.

كما اعتمدتُ في خطة البحث على التسلسل الرقمي.لما رأيتُ أنَ الدراسة بُحِثت في جزئيات لاحترام التسلسل.

كما اعتبَرتُ أنَّ المشكلة الأساسية في أي تفسير للنص الديني تكمنُ في اللغة لما لها من أهمية، و تغيير للمعاني إن حاول أي مترجم ترجمتها أو أي مفسر تفسيرها، و كما ركز عليها **سعديا** كثيرا في تفسيره لهذا انطلقت من هذه النقطة في دراستي.

1: مشكلات النص المقدس:

من أهم المشكلات التي يعانيها الكتاب المقدس مشكلة اللغة، لم ترد في مجموع أسفار العهدين القديم و الجديد أي إشارة إلى اللغة التي كتبت بها هذه الأسفار و لا إلى اللغة التي تحدث بها بنو اسرائيل و ليس إلى لغة الكتاب فقد جاء ذكر اليهودية في ثلاث مواضع من الكتاب المقدَّس في : " سفر الملوك الثاني، و سفر إشعيا، و في سفر نحميا.

وإنَّ تفسير الأدب التوراتي[1]- كما يسميه معظم النقاد - تمَّ جمعُهُ و اكتسب درجة من القداسة لم يكُن ليتِّمَ إلا بعد دراسة مُتعمِقة في كل أقسامه وقد وجد الأنبياء المُتأخرون[2] أقوال الأنبياء السابقين مجموعة أمامهم فعكفوا على دراستها و تنقيحها من أجل نقدها[3] أو للاعتماد عليها و تفسيرها[4] وأيضا غياب النص الأصلي، واللجوء إلى الترجمات الأخرى[5] تُعد أيضا من أهم المشكلات التي تعرض لها النص المقدس التوراتي و بذلك لتفسيره أيضا

1 - ارتأيتُ تبني هذه التسمية كأساس لإسقاط تسمية اللغة في التفسير.

2- لأنَّ النبي هنا يعتبر هو المفسر الأول للنص المقدس.

3- من خلال دراستي للنصوص المقدسة و بعض الدراسات النقدية و للمفسرين و ما عكفوا على تفسيره خلُص معظمهم إلى النقد كنتيجة للتفسير.

4- زالمان شازار، تاريخ نقد العهد القديم، تر: أحمد محمد هويدي،تق: محمد خليفة حسن، (دار رؤية، ط:1. 2014) ص: 28.

5- ميشال مسلان، علم الأديان مساهمة في التأسيس، تر: عز الدين عناية، (دار كلمة، ط1، 2009م)، ص: 15.

فقد عانى علماء المسيحية و نُقَّاد الكتاب المقدس هذه المشكلة اللغوية كثيرا، فقد أدَّى غياب النص الأصلي إلى عدم الاطمئنان إلى الترجمات المختلفة التي يعرفها الكتاب المقدس، حتى أكثرها دقة و أكثرها خضوعا للمناهج النقدية، و نلمس عدم الاطمئنان إلى الترجمات المختلفة التي يُعرفها الكتاب المقدس، حتى أكثر هادفة و أكثرها خضوعا للمناهج النقدية،و إنَّ فهم التطور التاريخي للغة هامٌ لاستيعاب القواعد اللغوية استيعابا وافيا، فالإحقاق في فهم التغيرات التاريخية لإبعاد اللغة العبرية [1] أفضى إلى سوء فهم قواعد اللغة أكثر من مرَّة و يمكن أن أقول هنا أنَ هذا ما لاقاه **سعديا** في تفسيره لنصوص التوراة و منها **سفر التكوين** لذا حاول بمنهج منفرد أو لأقل مُستقى من مدارس تأثر منها كالمعتزلة، منفرد على اعتبار أنه اليهودي آنذاك الذي يعتبر المطبق الوحيد لعدة مناهج تأثر بها، و مُستقى لتأثره كما أدرجتُ.و هذا لا ينفي وجود ثلَة من المفسرين اليهود المهمين جدا الذي أتوا قبل سعديا أو عاصروه أو ظهروا بعده.

1 ـ جهود سعديا في ترجمة التوراة إلى العربية:

نجد أن سعديا قد بذل جهدا كبيرا في نقل النص من العبرية إلى العربية بأسلوب سهل خاصة إذا وضعنا الاعتبار أنَّه لم يكن يقصد مجرد ترجمة هذا النص بمعناه الضيق لهذه الكلمة، و إنّما كان يقصد الشرح و التفسير مما جعل مهمته شاقة، سواء لغويا أو نحويا أو في ما يخص الألفاظ خاصة و هذا ما جعله يتأثر بصورة كبيرة باللفظ العربي كتابة و لفظا، و تكمُن جهود سعديا في ترجمته التوراة إلى العربية في تأثره بها أولا.

1ـ 1 مدارس الجاؤونيم و جهودها في التفسير:

ارتأيت أن أُدرجَ هذه الجزئية أي دور المدرسة الجاؤونيمية في التفسير لما لها من أهمية باعتبار أنَّ **سعديا** من هذه المدرسة.

الجاؤونيم اسم في صيغة جمع المذكر و مفرده **جاؤون**[2] و هو يدل على الرفعة و العظمة و الإحترام، و لم يكن هذا الاسم وليد هذه الفترة الزمنية المعروفة بهذا الاسم، و إنما

1– على اعتبار أن اللغة العبرية هنا هي اللغة الأصلية التي ترجم منها سعديا إلى اللغة العربية.

2– لُقب سعديا بهذا اللقب لمكانته بين اليهود آنذاك.

ورد قبل ذلك بفترة طويلة حيث يوجد في نص التوراة كما ورد بنفس هذا المعنى أيضا في سفر إشعيا: 4 : 2، ثم تطورت دلالة هذا الاسم بمرور الوقت ليعطي مدلولا آخر حيث أصبح يطلق كصفة لكل من نبغ من أمور التوراة سواء في هذه الفترة أو في تلك الفترات السابقة " و **سعديا** كان جاؤونا. لهذا لقب بهذا اللقب.

والجاؤونيم هم أولئك العلماء و الفقهاء الذين كانت لهم الزعامة الدينية لليهود في بابل في حقبة طويلة امتدت إلى ما يقرب من أربعمائة و خمسين عاما، و كان لهم الفضل الأكبر في إرسال دعائم الديانة اليهودية، و تطويرها خاصة لطائفة الربانيين، كما لهم نشاطهم البارز في جميع النواحي اللغوية أيضا [1]

وتكمن مجهودات الجاؤونيم في مجال التفسير ـ و هو ما يهُم هنا ـ في العصر الاسلامي بأكاديميات ساعدت كثيرا في الانتشار، فمن خلال هذا كله تبدو أصالة الفكر الإسلامي بفنونه المختلفة في الدين و اللغة و الأدب و الفلسفة و إلى أي مدى كان له الفضل الأكبر في تكوين شخصيات ذلك العصر اليهودي فكريا و ثقافيا، و مظاهر هذا التكوين في تراثهم الديني واللغوي وكان من أهم من برزوا سعديا الفيومي محل الدراسة:

1 ـ 2: ترجمة سعديا جاؤون:

يعدُّ **سعديا جاؤون** (882 م ـ 942 م) من أبرز الشخصيات في التاريخ اليهودي في العصور الوسطى، عرف طريقه في الأوساط العلمية اليهودية في أعقاب هجرته من مصر و تجواله في فلسطين و سوريا إلى ان استقر به المقام في بغداد حيث تبوأ هناك مكانه وسط الثقافة العبرية و العربية معا، و كان يتتلمذ على اللغويين العرب ويحذو حذوهم، بل كان يفسر الألفاظ العبرية المشكلة في التوراة بما يقاربها في اللفظ العربي تأثر بالمدرسة الكلامية الإسلامية، وهو أوَّل شخصية يهودية تكتُب على نطاق واسع بالعربية.

وكان **سعديا** ربانيا غيورا على تراثه و تقاليده، يدافع عنها قدر طاقته، و يتصدى لمن يحاول أن ينال منها، وضح ذلك عنده في رده على عنان بن داود زعيم فرقة **القرائين** أو

1- عزة محمد سالم، المرجع نفسه، ص: 162.

القرائيم[1] والذي حاول أن ينال من التقاليد الدينية لليهود ممثلة في **المشنا والجمارا**، ورد عليه سعديا برسالة فنَّد فيها مزاعمه حتى أصبح "يعرف بأنَّه المناهض الأول لحركة القرائين ([2])، و كانت مؤلفات **سعديا** التي كتبها باللغة العربية وأهمها: الأمانات والاعتقادات الذي يعتبر أهم مُؤَلف أدرج فيه أهم القضايا التي تأثر بها عن المعتزلة. وكذا كتابه **:تفسير التوراة بالعربية (تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدسة و دوافعها)** الذي فسر فيه سفر التكوين بمناهج مختلفة والتي ستُدرج في هذه الدراسة.

3:1ـ أثر الثقافة العربية في لغة تفسير سعديا:

نَشأةُ سعديا في بيئة عربية جعلته يتأثر كثيرا باللغة العربية و نحوها و هجائها حتى أنَّه قد تأثر بالهجاء المستخدم في القرآن الكريم والذي أُخذ مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان إلى البصرة و الكوفة و بقية الأمصار الإسلامية.

ولكن وبالرغم من تمَكُّن **سعديا** من اللغة العربية و محاولته المحافظة على قواعدها و أساليبها في ترجمته لنص التوراة، إلاَّ أنه أحيانا قد جانبه الصواب في اللغة كما حدث في ترجمته للنورين العظيمين اللذين ذكرا في الإصحاح الأول من التكوين حيث قال: " **فَصَنَعَ الله النيَرين العَظِيمَيْنِ النِيرُ الأكْبَرُ للإضَاءَةِ في النهار، والنِيرُ الأصْغَرُ للإضاءة في اللَيْلِ و الكَوَاكِب**"[3]

كما طَرح البحث في لغة التفسير سؤالا مُهما يتعلق بالاستخدامات اللغوية الجديدة أو غير المعروفة، التي وجدت في هذا التفسير: عن مصدرها و من أبدعها؟ هل أبدعها **سعديا جاؤون** أم أنّها مستمدة من العربية اليهودية؟ أو أنَ **الجاؤون** استمدها من اللهجات المحلية المستخدمة في ذلك الوقت؟ الإجابة المفترضة أنَّ هذه التجديدات قد تمَّ تجميعها من كل هذه المصادر المتاحة، مع تعذر تجديد العلاقة الكمية فيما بينها، و خاصة في الوقت الحالي

1- فرقة يهودية أسسها عنان بن داود في العراق في القرن الثامن الميلادي، و انتشرت أفكارها في كل أنحاء العالم وهي لا تؤمن بالشريعة، و إنما التوراة فقط. نقلا عن: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، (دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 2006م)، ص: 124.

2- وقد اكتفيتُ بهذا التعريف لما له من صلة بما يفيد هنا في الدراسة.

3 – تك: 1 : 16.

فمقارنة لغة التفسير مع ترجمات القرائين والربانيين من ناحية، وأدب **الجاؤون** من ناحية أخرى، تقطع باستخدامات لغوية مشتركة، إلا أنَّ موقف الدراسات التي تبحث في العربية اليهودية بوجه عام، وقاموس مفرداتها بوجه خاص، ما زال لا يمكن الدارسين من الوقوف على أرض صلبة من أجل التمييز بين ما هو **لسعديا** جاؤون وما هو عام و مشترك.[1]

ولهذا تنقسم أعمال **سعديا** التفسيرية لأجزاء العهد القديم، من حيث الشكل و المضمون، إلى نوعين: تفسير قصير و هو الترجمة، حيث إنَّه كان يقوم بترجمة فقرات العهد القديم إلى **العربية اليهودية**[2] مع تفسيرها عن طريق إضافة كلمات أو التغيير في بناء الجملة، و التفسير المُطول و تناول فيه بالشرح فقرات العهد القديم مع طرح أرائه في القضايا التشريعية و اللغوية و الفلسفية و جدله مع القرائين.و سيتم تقسيمها هنا إلى لفظية و صوتية:

فالمصطلحات الدينية اليهودية في تفسير **سعديا جاؤون** للتوراة هي المجموعة المؤكدة من قاموس المفردات الذي ينسب إلى العربية اليهودية:

أ : الكتابة اللفظية:

1: استعارة المصطلح الإسلامي المقابل كما دوّن مثل: قرآن = مقرا (מקרא)، ، إمام = كاهن ...

2: تضمين المعنى اليهودي في كلمة موجودة في اللغة العربية حيث تكون قريبة منها في المعنى مثل : سقيمة = فريسة : טרפה...

---

1 – تفسير التوراة باللغة العربية تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدسة و دوافعها، تر: سعيد عطية مطاوع، (ط1، 2015، دار المركز القومي)، ص: 58.

2– اليهودية العربية: هذه اللفظة المركبة الرائجة في عصر سعديا و التي استعملها آنذاك لأنه كانت موجهة لليهود الذين يعيشون في البلاد الإسلامية. و تعد الترجمة العربية اليهودية التي قدمها سعديا للتوراة من أهم الترجمات التي ظهرت و كان الهدف من هذه الترجمة تقديم ترجمة عربية بسيطة للطوائف اليهودية التي لم تكن تعرف حينذاك العبرية و كانت تتحدث العربية و لا تعرف العبرية.و منها أيضا الكتابة العربية اليهودية: و هي تسمية أطلقها العلماء اليهود على اللغة العربية التي كتب بها اليهود وثائقهم و مخطوطاتهم و أعمالهم الأدبية و معاملتهم التجارية في العصر الوسيط مستخدمين في كتابتها حروفا عبرية.

3: تعريب المصطلح العبري: أي اعتبار كون المصطلح عربيا في الأصل ثمَّ يشتق منه: أسماء بأوزان عربية مثل المثنى من باسوق : פסרק...

4: يستخدم أحيانا سعديا المصطلح العربي، و في أحيان أخرى يستخدم المصطلح العبري مثل : التحرير = اللمود، المقرا =الكتاب =القرآن، فقه = المشنا.

5: تضمين المعنى اليهودي في كلمة موجودة في اللغة العربية، حيث تكون قريبة منها في المعنى مثل : سقيمة : تساوي فريسة ، تسييب ... إبراء.

6: ترجمة حرفية للمصطلح الديني اليهودي: ذبائح ،سلامة، إخراج العشور

7: تعريب المصطلح العبري: أي اعتبار كون المصطلح عربيا في الأصل، ثمَّ يشتق منه أسماء بأوزان عربية. مثل: المثنى من :" باسوق العبرية بمعنى: جاؤون المصطلح العربي، و مرات أخرى المصطلح العبري مثل: التحرير تساوي التلمود تساوي المقرا تساوي الكتاب تساوي القرآن، فقه تساوي المشنا[1].

ب : الكتابة الصوتية:

نظرا لافتقاد الأبجدية العبرية إلى بعض الأصوات الموجودة إلى الأبجدية العربي فقد استخدم **سعديا** الحرف العبري للدلالة أو التعبير عن أكثر من صوت عربي، و ذلك من خلال إضافة بعض النقاط و العلامات إلى الحرف نفسه، مثلا: استخدم الحرف:**ת** رمزا كتابيا لحرف **التاء** و هذا هو الأصل كما استخدمه كرمز كتابي للتعبير عن **الثاء و ذلك بوضع رأسية فوق الحرف ليكون هكذا ת'** [2]و اعتمد نفس الطريقة على باقي الحروف المنقطة ـ و اكتفيتُ بمثال واحد للتوضيح ـ

ج: التشكيل: من خلال تفسير **سعديا** لتفسير سفر التكوين أنه استخدم حروف المد و اللين لرسم حركات (الفتح، الضم، الكسر) فاستخدم الألف للتعبير عن الفتحة الطويلة، و الواو للتعبير عن الضمة الطويلة،مثلا: י ש תבאהא ן = يشتبهان، ג א י א ה'= غابة.

1- عزَّة محمد سالم، المرجع نفسه، ص: 59.

2- نفس المرجع، ص:42.

د : التأثُّر بكتابة الألفاظ كما في المصحف القرآني[1]:هناك كلمات في سفر التكوين كتبها **سعديا** مشابهة لكلمات المصحف و من أمثلة ذلك :

كلمة الصلوة = **א ל צ ל ו ה"**.

وقد سقتُ في هذه الدراسة عدة أمثلة للتوضيح فقط و لن أدرج التشابهات الأخرى.

1: 4 ـ ترجمة سعديا التوراة إلى العربية([2]):

تناول سعديا العهد القديم و نقله من العبرية إلى العربية التي كانت قد أخذت مكانتها بين اليهود بدلا من الآرامية، و بدأ بالأسفار الخمسة أولا ثمَّ تلى ذلك ببقية أسفار العهد القديم.

حاول **سعديا** في ترجمته هذه أن يجعل الكتاب المقدس بسيطا في متناول عقلية وإدراك القارئ العادي " فكان في رأيه أنّ بسيط المقرا يمكن أن يقف مع الدراش و يأخذ مكانه ولا ضرر في ذلك. وبهذا كان أوَّل من تمسك بتفسير التوراة بمنهج البشاط[3]

وقدم **سعديا** لكل سفر من الأسفار التي ترجمها بمقدمة يشرح فيها الهدف من هذه الترجمة، والهدف من السفر نفسه و ما يكون قد اشتمل عليه من أحداث ومدلول تلك الأحداث، وكانت ترجمته العربية خالية من الصفات التشبيهية حيث تخلص من التجسيم و التشبيه[4] وخلع الصفات البشرية على الله.

ولقد كتب سعديا عن التوراة تفسيرين وهي طريقة اتبعها مع بقية أسفار العهد القديم التي تناولها بالترجمة و الشرح و التفسير، التفسير الأول و هو عبارة عن نقل النص من العبرية إلى العربية أو على حد تعبيره،التفسير البسيط أو القصير، و إن كانت ترجمته العربية

1– أدرجت هذه الجزئية على حدى لما لها من أهمية منفردة تأثر بها سعديا بمنأى عن التأثر اللغوي و الصوتي في التفسير.

2– أدرجْتُ التأثير (تأثر سعديا بالعربية) هنا قبل التأليف أو الترجمة كتسلسل منطقي.

3_ يعني لغة البسيط الحرفي المنطقي و يعني التفسير البسيط و الحرفي للكتب و تفسير التوراة طبقا لمعناها الطبيعي و المنطقي و ليس طبقا لمعناها الوعظي، نقلا عن كتاب : الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي.

4– وهذا ما تأثر به من المنهج المعتزلي في التفسير، تحدثت عنه بشرح أكثر في مواضع أخرى.

لا تعتبر في الواقع ترجمة بمفهومها الضيق، و لكنها ترجمة في معظمها تفسير و توضيح، أحيانا بإضافة كلمة واحدة، أو بإضافة حرف فقط، و لقد نَبَّه بنفسه إلى ذلك في مقدمته لترجمة الأسفار الخمسة حيث قال " **و لما رأيت ذلك رسمت هذا الكتاب تفسير بسيط نص التوراة فقط محررا بمعرفة العقل و النقل، و إذا أمكنني أن أودع إياه كلمة أو حرفا ينكشف به المعنى و المراد لمن يقنعه التلويح من القول فعلت ذلك و بالله أستعين على كل مصلحة أقصدها من أمر دين و دنيا"[(1)]**

وقد كتب هذه الترجمة أو التفسير القصير كما يتضح من قوله في مقدمة التفسير إلى جماهير الشعب اليهودي في عصره الذين تعلموا و فهموا العربية كما فهمها. وإن كانت هناك بعض الملاحظات على لغة الترجمة كلغة عربية نعلم جيدا أساليبها و دقتها وسعة احتوائها إلا أن تلك الملاحظات لا تنال أبدا من تمكنه من هذه العربية و معرفته نحوها وصرفها وأساليبها مما يدل على أنه تعلمها و أتقنها.

أما التفسير الثاني **لسعديا** على التوراة فهو التفسير الطويل و الذي أشار إليه في مقدمة ترجمته لأسفار موسى الخمسة بقوله: **"وإن كان هو أراد بعد ذلك الوقوف على تشريع الشرائع العقلية و كيفية صناعة السمعية، و بماذا يزول طعن كل طاعن على قصص في الكتاب طلب ذلك من الكتاب الآخر إذ هذا المختصر ينبهه على ذلك ويقتضيه قصده"**

وقد اختلف الكثيرون حول ما إذا كان **سعديا جاؤون** قد كتب هذا التفسير الطويل على جميع أسفار العهد القديم أم لا، و يميل البعض إلى أنَّه لابد أن يكون قد فعل هذا خاصة و أنه ضمن كتابه الأمانات و المعتقدات.

2**: مناهج سعديا جاؤون في التفسير:**

قبل التطرق إلى هذه المسألة يجب توضيح أمر مُهِم هنا و هو التفريق بين الترجمة و تفسير النص الديني، و مما حللته من مسائل هنا وجدت أن انطلاق **سعديا** من الترجمة أوصله إلى التفسير، هل يعتبر التفسير هنا هو نفسه الترجمة أم أنَّ التفسير منطلق بذاته اعتمده سعديا وهو مُستقل عن الترجمة (العربية)، ويميز الباحثون هنا بين نمطين من

1- عزة محمد سالم، المرجع نفسه، ص: 31.

الترجمة أولهما: الترجمة التي يقف أمامها المترجم الذي يرغب في إفراغ المضمون من لغة إلى أخرى أي الترجمة الحرفية، و ثانيهما: هو ترجمة الكتابات المقدسة التي تفسر معلومات مهمة شعوريا وثقافيا، أي تفسير النصوص وتأويلها، فهذا النمط الثاني من الترجمة يحاول أصحابه تقديم النص في صورة مترابطة و مقبولة عن طريق التفسير والتأويل، أي أنَّه ليس ترجمة للنص بقدر ما يكون ترجمة للمضمون والأفكار التي يستعملها النص، وهو بهذه الصور يهدف إلى تقديم تفسير للنص الأصلي. و يرتبط هذا النمط من الترجمة و جودته إلى حد بعيد بثقافة المترجم، و مقدرته في فهم مضمون لغة النص الأصلية و اللغة الهدف، و ذلك بصرف النظر عن الهدف الذي تتم من أجله الترجمة.

وإلى هذا النمط تنتمي بوضوح الترجمة التفسيرية لسعديا، لكنها ذات غرض ديني.[1]

من الواضح في ترجمات **سعديا** التفسيرية أنه أشار في مقدمته للترجمة من أنَّه لا يلتزم في الترجمة بالنص و إنَّما قد يزيد لفظة أو حرف يقصد توضيح المعنى و من أمثله ذلك "**قَالَتِ المَرْأَةُ للثُّعْبَانِ مِنْ جَمِيعِ ثَمْرِ شَجَرِ الجِنَانِ تَأْكُل**"[2] فقد أضاف **سعديا** هنا كلمة "**جميع**" و هي غير موجودة في نص التوراة. و هناك أمثلة كثيرة مما زاد فيها سعديا قاصدا من ذلك التفسير والشرح و هذه الإضافات تؤكد أنَّ عمله هذا ليس مجرد نقل نص من لغة إلى أخرى[3]

وقبل التطرق لدراسة منهج **سعديا** في تفسيره لسفر التكوين و لما تقتضيه المنهجية تطبيقا و فهما يجب أولا ذكر ولو باختصار أهم المناهج المتعامل بها في تفسير العهد القديم قبل **سعديا** ، فقد كانت ثنائية في منهج تفسير العهد القديم قبل عصر **سعديا** وهي: **البشاط** [4] **والدراش**[1] والمنهج الرمزي، ومن هذه المناهج صُنعت التوراة الشفوية التي اعتمدت على

1- سعديا جاؤون، تفسير التوراة باللغة العربية، مرجع سابق، ص: 21

2- تك: 3 : 2.

3- عبد الرازق أحمد قنديل، مرجع سابق، ص: 33.

4- البشاط: كلمة مشتقة من الكلمة الآرامية : **פשטא** و تعني الحرفية و التبرير

أنَ التوراة المكتوبة جاءت مُختصرة و مقتضبة تحتاج للتفسير والتفصيل، ولهذا ارتأى المفسر **سعديا** أن ينتهج تفسيرا يكون أوضح وأشمل ويحافظ أيضا على قدسية النص ومكانته الدينية.

2 ـ 1: **المنهج البشاطي:**

ويعني لغة البسيط والحرفي والمنطقي، ويعني اصطلاحا: " التفسير البسيط، أو الحرفي للكتب و تفسير التوراة طبقا لمعناها الطبيعي المنطقي، و ليس طبقا لمعناها الوعظي، وهذا المنهج في التفسير يُعتبر هو المنهج الشائع من هذه المناهج، و عليه قامت مُعظم التفاسير منذ العصر الوسيط، فهو يهدف إلى شرح الغامض في النص أو التوسع في معناه في شكل هو أقرب إلى النص"، و لعل السبب في شيوع هذا المنهج وتفضيل معظم المفسرين إلى أن يسلكوا هذا الطريق هو السهولة و البساطة في الشرح والتوضيح، وعدم لجوء المُفسر إلى إجهاد نفسه وتكلُّفِه إيجاد المعاني، وتحميل الألفاظ معاني لا تحتملها[2]عنه.

و يتضح **منهج سعديا** جليا في تفسيره و هو منهج **البشاط** ـ كما ذُكر سابقا ـ إلا إذا تعارضت معاني الكلمات لغويا مع العقل و النقل ففي هذه الحالة فإنه يجب على التفسير أن يلجأ إلى المجاز أو بعض معانيه و في ذلك يقول: " **و أقول أنَّ الأقدم في كل تفسير هو المشهور من ألفاظ الكتاب المفسر اللهم إلَّا أن يحال عند العقل ذلك المشهور أو تفسره الآثار**"

2 ـ 2: **المنهج المدراشي:** يقوم المدراش بتفسير النصوص التوراتية بمنهج خاص، إذ يركز على مجموع نصوص التوراة و يعتبرها واحدة، ثمَّ يسعى إلى إيجاد العلاقة المعرفية بين النصوص الكتابية المختلفة بغرض تفسيرها في ضوء بعضها البعض، فالنص لا يُفهم بمعزل عن النصوص الأخرى[3]

1- الدراش: كلمة عبرية بمعنى مغزى باطني، أو قياس عقلي، وتأويل أو شرح وتفسير فقرات الكتاب المقدس عن طريق التعمق والتوسع. نقلا عن أطروحة الدكتوراه، المسيانية وأثرها في المسيحية والحركات الدينية المعاصرة، آسيا شكيرب، ص:40.

2- عبد الرزاق أحمد قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، (ط1، 1984م)، ص: 112.

3- آسيا شكيرب، المرجع نفسه، ص: 41.

وكذلك تستعمل المدراشيم[1] المنهج أو الأسلوب الرمزي لتوضيح العقائد لكنها لا تؤسس العقائد بل تبررها، وتجعل النصوص بناءً مُتكاملا، وهذا أيضا ما اعتمده **سعديا** في كثير من نصوصه التي فسَّرها.

ويمكن القول هنا أنَ **سعديا** استمر في استعمال هذا المنهج تفسيرا وتأثر به في نصوصه المُفسرة، على اعتبار أنه ذكر في كثير من المواضع أنه اعتمدَ على النصوص الأخرى لفهم النص أكثر وتفسيره، و أيضا حاول في سيرورته التفسيرية إيجاد العلاقة المعرفية بين النصوص الكتابية بغرض تفسيرها.

كما سعى **سعديا** الفيومي إلى إدخال أسلوب "**الهلاخا**"[2] أو المنهج الهلاخي في ترجمته وتفسيره لأسفار التوراة، كما هدف من ترجمته تقريب أقوال التوراة إلى العقل، وذلك باستخدام الأسلوب الفلسفي والمنهج العقلي.

كما أنَّ ترجمة سعديا ليست ترجمة حرفية بل ترجمة تفسيرية للنص ـ كما ذُكر ـ وقد هدف **سعديا** من ترجمته تقريب أقوال التوراة إلى العقل الذي يعد أحد أهم خصائص الحضارة الإسلامية، و استخدم في ترجمته الأسلوب الفلسفي و المنهج العقلي[3]

2 ـ 3. : المنهج الترجومي: الترجوم **ת ר ג ו ם** معناه الترجمة و النقل من العبرية إلى الآرامية،و أصل كلمة

"**ت ر ج م" أكادي شرح أو نقل** [4]و لفظ ترجوم يدُلُ على الشرح و النقل من لغة إلى أخرى. وانطلاقا من هذا التعريف هل استعمل سعديا جاؤون هنا المنهج الترجومي في تفاسيره؟ فانطلاقا من هذه النقطة يمكن القول هنا أنَّ **سعديا** قد استعمل المنهج **الترجومي** في تفسيره للنصوص التوراتية، حيث بدأ الترجوم في أرض اسرائيل قبل المسيحية بقرون و

1– تسمية أخرى للمنهج المدراشي أو الدراش.

2– المنهج الهلاخي هو : سلك و معناه طريقة استنباط أحكام الشريعة.

3– تفسير التوراة بالعربية(تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدسة و دوافعها) ، سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي، تر: سعيد عطية مطاوع، تق: يوسف درينبورج، (ط1، 2015، القاهرة، مصر، درا المركز)، ص:17.

4– آسيا شكيرب، المسيانية و أثرها في المسيحية و الحركات الدينية المعاصرة، 2011، 2012م، ص: 54.

كانت الضرورة تعريف الشعب على التوراة، و الثانية تقديم النص في لغة يفهمها الجميع[1]، وكان هذا الهدف الأساسي الذي انطلق منه **سعديا**.

3: أثر مناهج تفسير القرآن في منهج سعديا الفيومي التفسيري: [2]

كان أقرب المناهج التفسيرية **لسعديا** في ذلك الوقت هو منهج المعتزلة لأنَّه المنهج الذي يوافق أهدافه التي وضعها منذ البداية، فاعتماد المعتزلة على الحجج القرآنية لتأييد مذاهبهم النظرية وافق هوى **سعديا** ليحقق هدفه في إعادة المكانة المفقودة للغة العهد القديم وربط التفسير بنص العهد القديم المكتوب لإثبات قدسيته و بلاغته و صلاحيته لكل العصور و موافقته للعقل.و يتخلص من مشكلة اللغة و مشكلة الترجمة كما ذُكر أعلاه.

حيث يقع تفسير **سعديا** لسفر التكوين في مائة وستين صفحة، استهل تفسيره بمقدمة طويلة تزيد عن خمس و عشرين صفحة، يقدم فيها منهجه في التفسير وآراءه والمذاهب التي يؤيدها. ولأن الدراسة هنا تركز على منهج **سعديا** في تفسيره لسفر التكوين و تأثره بمناهج المعتزلة خاصة في ذلك فسأكتفي هنا بهذا دون التطرق بمذاهبه التي ذكرها في الكتاب.

حدَّد **سعديا** أيضا في المقدمة الأسس العامة التي يجب أن يجري عليها مدار التفسير، ولخصها في ثلاثة أسس عامة وهي: العقل الكتاب والنقل، أي أن القول يجب أن يوافق معطيات الحس و الشاهد، و إذا لم يحدث فمن البديهي أن نعرف أن في القول إضمار، و يجب أن يحاول التفسير التوفيق بين المحسوس و الشاهد، فإذا ورد في التوراة أن "حواء أم كل حي" يقول **سعديا** "فإن تركنا لفظة كل حي على مشهورها من العموم كابرنا المحسوس، إذ ذلك يوجب أن يكون الأسد و الثور و الحمار و سائر الحيوان بني حواء.

إذا كان يوجد في الفقرة ما يخالف العقل فذلك يعني بالضرورة أنَّ القول ليس على الحقيقة و لكن القول مجازي.

3 ـ 1 : منهج التأويل أو المنهج العقلي: التأويل الذي يعتمد على العقل، حيث يرى **سعديا** أن التأويل ضروري لبعض القضايا مثل الفقرات التوراتية التي يرد فيها تجسيم،

1- بولس الفغالي، المرجع نفسه، ص: 14.

2- ذكرت هنا مباشرة تأثر سعديا بمناهج المعتزلة حيث تتخللها مناهجه أيضا لذا أدرجتهما معا.

فإن المعنى الظاهري للفقرة يدل على التجسيم فيجب التدخل عندما يرفض العقل هذا المعنى الظاهري، أيضا يلجأ سعديا إلى التأويل حين يكون المعنى في الفقرة التوراتية غامضا فيحاول الكشف عنه بإرجاعه إلى الأصل معتمدا على أسباب و أصول إدراك المقاصد، فالهدف من التأويل هو إدراك القصد.فاعتماد المعتزلة على الحجج القرآنية لتأييد مذاهبهم النظرية وافق هوى **سعديا** ليحقق هدفه في إعادة المكانة المفقودة للغة العهد القديم، و ربط التفسير بنص العهد القديم المكتوب، لإثبات قدسيته و بلاغته وصحته ـ كما ذكرتُ سابقا ـ و موافقته للعقل.

وحيث أفاد هذا المنهج سعديا في رد مقاصد الفقرات والألفاظ التوراتية للشائع في استعمال اللغة ومحاولة تجميع المعاني المشهورة لها والنادر منها واختيار ما يُناسب فكره و آراءه، و ذلك ساعده على الحفاظ على مكانة لغة المشنا و التلمود[1].

3 :2 ـ المجاز:

هو الأساس الثاني الذي اعتمده سعديا في تفسيره لسفر التكوين، رأى ابن قتيبة المجاز بأنه ضرورة لغوية لا محيص عنها للمتكلِم، ثمَّ تطور على يد الجاحظ حيث رأى أنَّ للاسم موضعين أحدهما حقيقة و الآخر مجاز، فالحقيقة ما كان من الله والمجاز المُشتق له من هذا الإسم.و ثمَّ شهد المصطلح تطورا على يد القاضي عبد الجبار حين أدرك أنَّ المشابهة هي الأساس في الانتقال من الدلالة الحقيقية إلى المجازية. يقول القاضي عبد الجبار في الآية : (الرَحْمَن عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى)[2] وربما قيل في هذه الآية إنه أقوى دليل على أن الله يرى في الآخرة ، وجوابنا : أن من تعلق بذلك إن كان ممن يقول بأن الله جسم ، فإنا لا ننازعه في أنه يرى ، بل في أنه يصافح، ويعانق، ويلمس، تعالى الله عن ذلك، وإنما نكلمه في أنه ليس بجسمٍ، وإن كان ممن ينفي التشبيه عن الله، فلابد من أن يعترف بأن النظر الى الله تعالى لا يصح ؛ لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلباً

1– عزة سالم، المرجع نفسه، ص: 182.

2– طه: 5.

لرؤيته ، وذلك لا يصح إلا في الأجسام ، فيجب أن يتأول على ما يصح النظر إليه وهو الثواب[1]

استقى **سعديا** في تفسيره هذا المعنى وأعطي مثالا هنا للتوضيح دون الإسهاب في الشرح أكثر : جاء في سفر التثنية : " **כ י ה ן ה א ל ה י ן, א ש א ל כ ל ה ן א: א ל، ק נ א**" "**لأنَّ الربَّ إلهُكَ نَارٌ آكِلَة**"[2] عند **سعديا** هذه الآية مخالفة للعقل، لأنَّها توحي بالتجسيم و التشبيه،و اعتمد التأويل باعتبار دلالات المجاز على دلائل العقل عند مفسري الإعتزال. وانتقل كذلك من الحقيقة إلى المجاز فالجملة التي تقول : " **נ עש ה א ר ס ב ך מ ו מ נ ר**" **(خلقنا الإنسان على صورتنا كشبهنا)**[3] هي جملة مجازية لأنَّ الله خلق الإنسان على هيئته من ناحية التسلُطِ و السيادة، وهذه هي العلاقة، فالله سخَّر للإنسان الطبيعة لتكون في خدمته والله سيد الكون.[4]

3: 3: المنهج اللغوي:

قبل التطرق لهذا المنهج يلزم التنويه إلى أهميته باعتبار أنَّ اللغة أهم منطلق للمُفسر، بغض النظر على كل المشاكل التي تواجه هذا المفسر مع النصوص المقدسة كما ذُكر سابقا،حيث تعتمد هذه الطريقة على الكشف عمَّا وراء الألفاظ من المقاصد اللغوية، حيث اعتمد **سعديا** على هذا المنهج بوجه كبير في نصوص سفر التكوين و نصوص الأسفار الأخرى،من خلال قاعدتين هما:

أ: تخريج الآيات[5] تخريجا لغويا يكشف عماّ فيها من المعاني الكلية.

ب: الأخذ بالراجح من هذه المعاني بناءً على هذه النظرية العقلية[6]، و هنا انطلق **سعديا** من كثير من الألفاظ حيث استخرجها من سفر التكوين و حاول تفسير مقاصدها

1 – القاضي عبد الجبار ، تنزيه القرآن عن المطاعن : 358 ، ذيل الآية 23 من سورة القيامة

2- تث: 4 : 24.

3- تك : 1 : 26.

4 – عزة سالم، المرجع نفسه، 150.

5 – ارتأيت تسمية النصوص هنا بالآيات كما سماها **سعديا** في كتابه

6- والمقصود هنا بالنظرية العقلية كما زاوجها سعديا بالمنهج الغوي، للفهم أكثر .اعتمادا على منهجه.

اللغوية لفظيا، وعقليا لينزه كل لفظ يوحي بالتجسيد عن ذلك، و هناك الكثير من الأمثلة و سأكتفي بمثال منها للتوضيح:

لفظة الندامة: "ן י נ ח ס" فقد عدَّد معانيها اللغوية لأنها لا تليق بالذات الإلهية ـ كما وصَفَ هنا ـ فيجمع معانيها المشهورة بين بني اسرائيل و حتى لدى الطوائف المناهضة له، و فسرها على أنَّ الله هو الذي أوقع الندامة في قلوبهم، حتى ينزه الذات الإلهية و لا يلحق بها نُقص.

وقد قام المنهج المعتزلي على هذا حيث سعى للكشف عمَّا وراء الألفاظ من المقاصد اللغوية و الصفات التي تليق بالذات الإلهية و ذلك لدفع شُبَه الخصوم، فلا تقبل من التأويلات اللغوية و النحوية إلَّا ما صَحبه الدليل المُظهر لإعجاز القرآن الكريم، فيعود الفضل إلى الجاحظ في هذا و القاضي عبد الجبار في تأسيس هذا النوع من التفسير، يقول تعالى: **(فماَ بَكَتْ عَلَيهِم السَمَاءُ و الأَرْضُ و مَا كَانُوا مُنْظَرِينْ)**[1]، فهنا تذكر عدة أوجه تفسيرية تأويلية للفظة البكاء هنا في الآية، فكأن معناها هنا يوحي أن لا تحزن السماء عليهم ولا الأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم[2].

ومن كل هذا لا يعني التأويل باعتبار القصد اللغوي الخروج بالتفسير عن السياق، بل هو منهج يقضي وضع قيم إشكالية للنص المتضمن.

أمَّا المنهج الذي اتبعه علماء المسلمون بالنسبة لغريب القرآن في محاولة تتبع أصول الغريب من الألفاظ بوسائلهم المختلفة أنشأ **سعديا** منهجا بنفس الأسلوب، فقه و في شرحه لنص العهد القديم وجد بعض الألفاظ لم يتكرر ورودها و لا يعرف لها أصلا مُعينا: فجمعها وأحصاها في كتابه المُسمى: " تفسير السبعين لفظة المُفردة"[3] وأخذ في شرحها عن طريق تتبُّع أصولها بالمقارنة بينها و بين اللغتين الآرامية والعربية وكما اعتبر المسلمون **ابن عباس**

1- الدخان: 29.

2- عزة محمد سالم، المرجع نفسه،ص: 175

3- كتاب السبعين لفظة المفردة، كتاب لغوي جدلي في آن، حاول فيه سعديا تفسير سبعين لفظة غريبة من التوراة للتدليل على أهميتها مجادلا بذلك القرائين الذين يرفضونها من الأساس (التلمود) و المقصود باللفظة المفردة الكلمة التي وردت مرة واحدة في نص العهد القديم، و الذي لا يعرف معناها على وجه الضبط.

أول من نبَّه إلى الدراسات اللغوية المقارنة في الإسلام بشرحه غريبه و مُشكله، كذلك اعتبر اليهود **سعديا** في كتابه تفسير السبعين لفظة المفردة مؤسس علم الفقه اللغة المقارن.[1]

3 ـ 4: مبدأ **المحكم و المتشابه**[2] الذي استخدمته المعتزلة للتوفيق بين الآيات التي يوحي ظاهرها بالتعارض مع مبادئهم استخدمه **سعديا** لحل التناقض بين فقرات العهد القديم بعضها ببعض،و قبل التطرق لمبدأ **سعديا** في المحكم و المتشابه من الضرورة قبلا تبيين منهج التأويل و المحكم و المتشابه عند المعتزلة باختصار لإلقاء الضوء و لفهم أكثر الجوانب الأكثر تأثيرا في منهج **سعديا** في التفسير.

اعتمد المعتزلة في تفسيرهم للنص القرآني على نفس آليات دراستهم لعلم الكلام والبحث فيه، وكان من بين ما أوخذوا به استعمالهم للتأويل في فهم ما تشابه من الآيات. فقد ارتبط التأويل بالمنهج الكلامي وتطوّره، حتى بلغ مرحلة تشكّل المنهج أين انتهى إلى حدوث التفاضل بين النّقل والعقل، ثمّ تقديم العقل على النّقل وبالتالي التأويل على ظاهر النصّ، وما حدث ذلك من صراع وتكفير بينهم وبين مخالفيهم ثمّ الإشارة إلى أنّ العقل دليل قطعي في مقابل ظنيّة غيره[3].

وقد حاول بعض المعتزلة من أمثال: الجاحظ؛ انتهاج طريق التكامل والتوفيق بين مقامي العقل والنقل، أي بين المقولات الكلامية والنص القرآني عبر التأويل، والذّي وجد مدخله من اللغة العربية[4]، وذلك في تفسير ما تشابه من ظواهر النصوص وما اختص

1- عبد الرازق أحمد قنديل، المرجع نفسه،ص: 456.

2- المحكم و المتشابه :المُحكم ما عُرف المراد منه، إما بالظهور و إما بالتأويل، و المتشابه: ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، و الحروف المقطعة في أوائل السور.نقلا عن: مُختصر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مر: صلاح الدين أرقروان، دار النفائس،1980م، ط2،ص: 114.و المحكم عند اهل الإعتزال هو الذي جعله عز وجل على صفة تشبيه على السامع، من حيث خروج ظاهره على أن يدل على المراد به لشيء يرجع إلى اللغة و التعارف، أما المتشابه عند المُعتزلة فالمراد به أنه بيّن الكل في أنَّه أنزل على وجه المصلحة و دلَّ به على النبوة، لأنَّ الأشياء المتساوية في الصفات يقال فيها متشابهة.

3 – ياسر بن ماطر المطرفي، العقائدية وتفسير النص القريني (المناهج–الدوافع–الإشكاليات–المدونات) دراسة مقارنة، (ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2016)، ص 374_375.

4 – المرجع نفسه، ص 375_376.

بالحديث على الصفات الإلهية، والتّي أخرجت المعتزلة إلى خط مخالف لأهل الحديث ممن اخذوا النص على ظاهره.

ولكن الباحث يجد أنّ معظم مدونات التفسير "وعلى كثرة هذه التفاسير، إلّا أنه لم يصلنا من تلك المدونات شيء، إمّا لفقدانها _أو الأكثر_ أو لأنها ا تزال مخطوطة، وربما يعود ذلك إلى أسباب سياسية تعضّدها أخرى عقائدية؛ فإنّ طبيعة حراك المعتزلة مرّ بمرحلة صعود وتصدير في فترة المأمون ... ولكن هذا الصعوب لم يستمر طويلا فتقلّبت عليهم الأوضاع، وتعرضوا لمضايقات شديدة وحصل بينهم وبين مخالفيهم جدال كبير ولم يسلموا فيه من النقد وخاصة في التفسير، ويشهد ذلك بأن بدايات الكتابة في التفسير عند الاشاعرة والماتوريدية كان من أهم بواعثها الرد على المعتزلة"[1] و القارئ لتاريخ الفرقة القرائية كما ذُكر سابقا يلاحظ ذات الحراك الفكري و الثوري العقائدي بينها و بين الربانية[2]

و"تعود بدايات التأليف في التفسير عند المعتزلة إلى المرحلة الأولى في المذهب على يد مؤسسه، واصل بن عطاء (ت: 131هـ) مذكور له كتاب في "معاني القرآن"، وعمرو بن عبيد (ت: 143هـ) ذكر له كتاب في التّفسير أيضا، ... ولا يعرف عن هذه الكتب الأولى شيء. وبعد ذلك اهتم المعتزلة بالتدوين الكثيف في التفسير، متجاوزين في ذلك الكثير من المذاهب، والملاحظ أن بداية التفسير عند المعتزلة كان أكثرها يتعلّق بمتشابه القرآن، فكتب فيه محمد بن المستنير النحوي، الشهير بقطرب (ت: 206هـ) كتابه: الرد على الملحدين في متشابه القرآن ... ثم استمر تدوين المعتزلة في هذا الموضوع ... فكتب الجاحظ (ت: 255هـ): الرد على من ألحد في كتاب الله، ... وأحمد بن محمد الخلال البصري (ت: 377هـ) كتب : الرد على الجبرية والقدرية فيما تعلقوا به من متشابه القرآن ... "[3] وغيرها.

يقول الأشعري في مقالات الإسلاميين :" اختلفت المعتزلة في محكمة القرآن ومتشابهه:

---

1 – المرجع نفسه، ص 670.

2 – الربانية أو الربانيون وهم علماء الشريعة أو الفقهاء، نقلا عن كتاب: الفرق اليهودية المُعاصرة، أسماء سليمان سويلم.

3 – المرجع نفسه، ص 668_669.

فقال واصل بن عطاء وعرو بن عبيد: المحكمات ما أعلم الله قول المعتزلة في عقابه للفساق كقوله: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا" وما المحكم والمتشابه أشبه بذلك من آي الوعيد، وقوله: "وأخر متشابهات" نقول/ أخفى الله عن العباد عقابه عليها، ولم يبين أنه يعب عليها، منا بين في المحكم منه.

وقال أبو بكر الأصم: محكمات يعني حججا واضحة لا حاجة لمن يعتم إلى طلب معانيها كنحو ما أخبر الله سبحانه عن الأمم التي مضت من عاقبها، وما يثبت عقابها، وكنحور ما أخبر عن مُشركي العرب أنه خلقهم من النطفة، وأنه أخرج لهم الماء فاكهة وأبا، وما أشبه ذلك، فهذا محكم كله، فقال / قال الله تعالى: "أيا محكمات هن أم الكتاب" أي الأصل الذي لو فكرتم فيه عرفتم أنَّ كل شيء جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم حق من عند الله سبحانه "وأخر متشابهات" وهو كنحو ما أنزل الله على أنَّه يبعث الأموات ويأتي بالساعة، وينتقم ممن عصاه، أو ترك آية أو نسخها مما لايدركونه إلا بالنظر فيعلمون ان الله ان يهذبهم متى شاء وينقلهم متى شاء .

وقال الاسكافي في قوله تعالى : "ايات محكمات" ، قال: هي التي لا تأويل لها غير تنزيلها، ولا يحتمل ظاهرها الوجوه المختلفة "وأخر متشابهات" وهي آالتي يجمل ظاهرها في السمع المعاني المختلفة.

وذهب بعض الناس في قوله "وأخر متشابها" إلى ما اشتبه على اليهود من قول الله عز وجل "الم والمر والر والمص "وذهب بعضهم الى اشتباه القصص التي في القران"[1]

فلقد قدَّم **سعديا** في مقدمة تفسيره لسفر التكوين مبدأ المحكم و المتشابه بوصفه أيضا أوَّل أساس من أسس التفسير، التي يجب أن يلجأ إليها المُفسر، و السبب الذي دعاه إلى ذلك هو اعتقاده أنَّ كلَّ لغة يجب أن يقع فيها المُحكم و المتشابه، ثمَّ يبدأ بعد ذلك دور المُفسر في تعيين الفقرات المتشابهة ثمَّ ردَّ المحكم إلى المتشابه، و قد أشار إلى ذلك في قوله: " فذلك شرح الثلاثة أي العقل و الكتاب ثمَ النقل، المعارف المعطيات كمال الطاعة

1 - الاشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محيي الين عبد الحميد، ج1، (ط1، 1369_1950م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة)، ص 269_207.

للمؤمنين التي هي المعقول و المكتوب و المنقول، و إذ قد استوفيت شرح عيون هذه الثلاثة المعارف التي لابد لمفسر التوراة من الوقوف عليها فأرى أن اتبدع بتقدمه كيفية تفسير التوراة مع سائر الأنبياء و أقول : لما كانت أركان معاني هذه الثلاثة المعارف المقدم ذكرها، و كان كل كلام لابد من أن يقع فيه المحكم والمتشابه، إذ كل لغة على هذه البنية هي مبنية، و كانت التوراة بمثل ذلك إذ نزلت بإحدى اللغات" ويوضح أكثر بقوله أنَّ المُحكم في نظره ما وافق الحقائق التي كانت قبل نزول التوراة (مثل أنَّه يوجد إله) وكذلك ما يوافق النقل الذي جاء بعد نزول التوراة مثل الأمر و النهي و ما جاء به الرسول.[1]

ـ رد المُحكم إلى المُتشابه: ـ و هذا من أكثر ما تأثر به سعديا من مناهج المعتزلة في تفسيره ـ فعندما يقول الرب: " **لا تُجَرِبُوا الرَبَّ إلهكُمْ**"[2] نعرف أنَّ هذا قول مشابه يجب ردُّه إلى المحكم في التوراة الذي لا يفيد بهذا المعنى[3].

ولأنَّ سعديا قد وضع العقل أول سُلَّمه لبناء منظومته التفسيرية فهذا يعني لجوءه بشكل أكبر إلى **التأويل**، ـ و هذا منهج المعتزلة الأول في التفسير ـ و انتهَجَ **سعديا** تقسيما عرض فيه مبدأه النظري في تسلسله التفسيري، يعتمد على مواضيع قسمها من سفر التكوين: سأذكرها باختصار هنا وفق اللغة العبرية بمصطلحها و هي:

1 ـ ב ר א ש' ת : **في البدء**" و هي الكلمة الاولى التي تبدأ بها قصة الخلق في سفر التكوين.

2 ـ נ ז ח: "نوح"،3 ـ **ל ך ל ך** " اذهب" و هي العبارة الأولى التي يبدأ بها تفسيره لموضوع أمر الرب لإبراهيم بالخروج من حران، 4ـ **ר י ר א** "يتراءى" و فيه يفسر قصة ظهور الرب لإبراهيم، 5ـ **ח"ש רה** "حياة سارة، باعتبارها أما للشعب اليهودي،و ينتهي بموتها.6ـ **ו א ל ה ת ו ל ד ו ת' צ ת ק** "و هذا نسل إسحاق".

وكذلك ـ كما ذُكر سابقا في ما يخص رد المتشابه إلى المحكم عند المعتزلة، فقد سار **سعديا** على نهجهم في وضع العقل على أول الطريق لرد المتشابه إلى المُحكم،

1– عزة محمد سالم،المرجع نفسه،ص: 134.

2– تث: 4 : 24.

3– المرجع نفسه، ص: 126.

فالقاضي عبد الجبار رأى أنَّ القرآن لا تعرف دلالته إلا بعد تقدم المعرفة العقلية بتوحيد الله و عدله و سائر صفاته فالسامع للقرآن و القارئ له رأى المحكم والمتشابه كمُتناقض في الظاهر لم يكن بأن يتبع أحدهما أولى من الآخر فيما يرجع إلى اللغة فيُلجئُه ذلك إلى الرجوع إلى أدلة العقول لينكشف له بها الحق من الباطل، فيعلم عند ذلك أنَّ الحق في المُحكم وأنَ المتشابه يجب حمله على موافقته، فكذا استخدم **سعديا** فقرات العهد القديم لرد المتشابه إلى المحكم، وإنَما يفسر بعضها ببعض.[(1)]

وارتأيتُ هنا أن أكتفي بهذه المناهج التي استقاها **سعديا** من المدرسة الاعتزالية لما لها أهمية من جانب ، و لتأثيرها في النص المُفسر سواء عقليا، ، لفظيا و تأويليا من جانب آخر. وهناك عدة مسائل أخرى تأثر بها سعديا في تفسيره هذا لسفر التكوين لكن لا مجال هنا لذكرها لتَشعبها و خروجها عن سياق البحث و الدراسة.و هي القضايا الفكرية المطروحة على بساط الفكر آنذاك: قضية المعرفة و أنواعها و أدواتها، الذات الإلهية و صفاتها، العدل الإلهي و حرية الإنسان، الخلق، النبوة، الجدل الديني.

خاتمة:

كانت هناك محاولات عدَّة في تفسير النص الديني اليهودي،أدَّت إلى ظهور مدارس عدة ساهمت بمناهجها و أساليبها لنقل النص إلى القارئ لفهمه، و كان **سعديا** بمجهوداته التي أولاها في هذا من أهم المتأثرين في زمنه بمناهج المسلمين مما جعله يكتب العديد من المؤلفات التفسيرية باللغة العربية، فقد كان مفسرا، ومجدِّدًا مستعملا مناهج مستقلة جعلتُه رائد التفسير اليهودي، و على الرغم من تأثره بالمناهج الإعتزالية فإسقاطها على نص مغاير لنص آخر فهذا في حد ذاته تجديد.

وهذا البحث كان محاولة للتوقف على بعض النقاط المنهجية التي اعتمدها الجاؤون **سعديا في تفسيره للنص التوراتي (سفر التكوين أنموذجا)**.فقد كان تفسيره تحولا جوهريا و في تفاسير التوراة ، و مجددا أيضا في اليهودية الربية خاصة، وانطلاقا من هذا يمكن أن نستنتج من هذه الدراسة المُبسطة ما يلي:

1– المرجع نفسه، ص: 132.

ـ تأثر المدارس التفسيرية اليهودية بالمناهج التفسيرية الإسلامية.

ـ تلاقي ديانتين وُصِفتا بالعداء العقائدي قبل المعاملاتي والذي أنتج ثورة علمية.

ـ تعدد واختلاف النصوص الدينية ودراستها بمنهج واحد يوفق العقل للتفكير أكثر.

ـ اعتبار أنَّ التفسير من أهم الموضوعات التي أهملت في حقل البحث.

ـ تلاقح حضارتين أفضتا زخما علميا.

ـ وهذا لا يمنع من وجود الكثير من الأبحاث التي ألقت الضوء على هذا الزخم المعرفي، فموضوع التأثيرات الاسلامية في شتى الحقول المعرفية يكادُ ينعدم بحثيا لما له من توجيه معرفي معاكس يوحي بالخشية من التطرق لنص مقدس يعاكسه نص مقدس آخر.

المصادر و المراجع

1- القرآن الكريم.

2- العهد القديم.النسخة البروتيستانتية.

3- أثر مناهج تفسير القرآن الكريم في تفسير الحاخام سعديا جاؤون لسفر التكوين،عزة محمد سالم.

4- الآمانات و الإعتقادات، سعيد بن يوسف (سعديا جاؤون).

5- تفسير التوراة بالعربية، سعديا جاؤون بن يوسف الفيومي

6- التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة، موشيه مردخاي تسوكر.

7- القراؤون تاريخهم، مذهبهم، و أدبهم، محمد عبد اللطيف.

8- الفكر اليهودي و تأثره بالفلسفة الإسلامية، علي سامي النشار.

9- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، أحمد عبد الرازق قنديل.

10- التلمود، كوهن.

11- أثر المعتزلة في تجديد اليهودية الرابية،عبد الرحيم حيمد.(مجلة).

12- نقد العهد القديم، زالمان شازار.

13- موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المجلد الثاني.

14- تفسير الكتاب المقدس في أبعاده المتعددة، غرانت.ر. أوزبورن.

15- ترجوم نيوفيتي، الخوري بولس الفغالي.

16– الفرق و المذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همّو.

17– تاريخ و عقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلام.

18– العقائدية و تفسير النص القرآني (المناهج، الدوافع، الإشكالية، المدونات) ياسر ماطر المطرفي.

19– تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار.